تأمّلات في مصطلحات علم السكّان

د. عبد الكريم اليافي

علم السكّان أو الديمغرافية:

هو علم حديث ظهر في القرن العشرين وتقدَّمَ تقدُّماً كبيراً بعد الحرب العالميّة الثانية وإن كانت أصوله عربيّة قديمة . وتتجلّى مناهجه العلميّة القويمة خاصّةً في مقدّمة ابن خلدون. وقد كنّا جلونا ذلك وبيّنّاه في كتابنا «معالم فكريّة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية» (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) وأكّدنا ضرورة نسبة هذا العلم في تأسيسه إلى ابن خلدون بدلاً من التاجر الإنكليزي جون غرونت John Graunt كما فعلت الدورة الثالثة لمعهد الإحصاء العالمي المنعقدة بباريس سنة ١٩٦١ حين بحث علماؤها تاريخ ميلاد هذا العلم.

ولفظ الديمغرافية[١]، مؤلف من جزءين يونانيّين demos أي الشعب أو السكان، و graphein أي الوصف. وأُرِيدَ تغيير هذا اللفظ المتضمِّن معنى الوصف فاستُبْدِل به الديمولوجية للإشارة إلى الناحية العلميّة الوطيدة فيه إذ كان الجزء logos يومئ إلى العلم. فلم يُتَحْ لهذا اللفظ الانتشار ولا البقاء.

---

(١) أول من استعمل هذا اللفظ الباحث الفرنسي Achille Guillard سنة ١٨٥٥ في كتابه:

Eléments de statisque humaine ou démographie comparée

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويُعَرِّف هذا العلم الان بأنه دراسة المجتمعات البشريّة من حيث حجومُها وبِنَاها وتطوّرها وخصائصها العامّة ولاسيما من الناحية الإحصائية والرياضيّة.

المعجم الأول للمصطلحات السكّانية هو المعجم الديمغرافي المتعدد اللغات:

طلبت لجنة السكان بمنظّمة الأمم المتحدة في دورتها الرابعة إلى أمين المنظَّمة إدخال مشروع يقتضي وضع معجم ديمغرافيّ متعدد اللغات في برنامج عملها.

ثمّ عرض الاتّحاد العالميّ لدراسة السكّان العلميّة مشاركته في هذا المشروع. وتألّفت لجنةٌ من علماء بعض الأقطار لتأليف هذا المعجم. وقد هُيِّئَتْ مسوَّدة له سنة ١٩٥٤ أُرْسِلَتْ إلى العاملين في بحوث السكان ليروا رأيهم في المصطلحات المؤلّفة. ثم عمدت اللجنة بعد تلقّيها مختلف الآراء وقبول ماهو مناسب إلى صوغ المعجم وطبعه بصيغته التي ظهر بها في الفرنسيّة والإنكليزيّة (عام ١٩٥٨) والإسبانيّة (عام ١٩٥٩) وهي اللّغات العمليّة التي كانت إذ ذاك لمنظّمة الأمم، أي بعد مضيّ أربع سنوات على نشر المسوّدة.

النص العربي للمعجم الديمغرافيّ:

في غضون تدريسي بالجامعة السوريّة التي صار اسمها بعد حين جامعة دمشق كنت مسايراً للبحوث السكانية في أكثر الأقطار، فاطّلعت على فكرة وضع ذلك المعجم منذ بزوغها، كما اطّلعت على نسخة المسوّدة الوقتيّة ثمّ على طبعتها المعتمدة باللغات الثلاث.

ولم تكد تلوح الوحدة بين سورية ومصر حتى قدّمت اقتراحاً بوضع نسخة عربيّة لهذا المعجم الذي لم يمض على صدوره سنة واحدة. وقد أقرّ المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في الجمهورية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العربية المتحدة هذا الاقتراح سنة ١٩٦٠، وعُهِدَ إليّ وإلى الدكتور عبد المنعم الشافعيّ من القاهرة في أمر النصّ العربي. وتقاسمنا كلانا الفصول. وعلى الرغم من انفصام الوحدة بعدئذ وتدابر الإقليمين الشقيقين استطعنا أن نجتمع وأن نتذاكر في النصّ العربيّ المهيّأ سنة ١٩٦٣ ثم نُنْهي إلى المجلس الأعلى النصّ الذي اتفقنا عليه بعد جهد جاهد ومناقشات طويلة استمرّت نحواً من الشهر واشتملت على نصيب من التساهل حسماً للخلاف ورغبةً في الإنجاز.

ولم يكن الغرض مجرّد ترجمة المعجم الإنكليزي أو الفرنسي إلى العربيّة. وإنما كان الغرض وضع المصطلحات السكانية وتعريفاتها باللغة العربية بحيث يحمل كلُّ مصطلح منها رقماً إلى جانب رقم الفقرة التي يرد في ثناياها. فالمصطلح محدَّد برقمين: رقمه هو ورقم الفقرة التي هو فيها. وذلك بالاستناد إلى المصطلحات الأجنبية ودلالاتها. وهكذا لايوجد في كلّ معجم إلاّ لغةٌ واحدة يمكن مقابلة كلّ مصطلح فيها عند الحاجة بمصطلح اللغة الأجنبية فرنسيّة أو إنكليزية أو إسبانية أو غيرها بالنظر إلى الرقمين في المعجمات المقابلة. وهذا من شأنه تحديد معاني المصطلحات بإيراد تعريفات لها دقيقة مطابقة، ومن شأنه أيضاً تيسير الترجمات من لغة إلى أخرى في هذا المضمار وتنسيق البحوث فيه. وذلك كلّه بإضافة ما هو خاصٌّ بثقافة أهل اللغة وعاداتهم ومعاملاتهم مما يتعلّق بقضايا السكان. والإضافة تكون في حاشية كل فقرة. وقد ظهر المجلد العربي سنة ١٩٦٦ في القاهرة أي بعد انسلاخ خمس سنوات على إعداده. وكان هذا التأخير إجرائياً محضاً، ولا علاقة له بإنجاز النصّ.

ولم نجد أنا ورصيفي عقباتٍ بارزةً في وضع المصطلحات الديمغرافيّة الحديثة باللّغة العربيّة الواسعة المطواع. وإنما كانت الصعوبة في اختيار أنسب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المصطلحات وأمثلها وأشفّها دلالةً عن المعاني.

سأعود بعد قليل إلى هذا الموضوع لأوضح كيف تمّ ظهور المعجم العربيّ. هذا ولم نكن نعمد إلى اختراع ألفاظ غريبة وغامضة إلاّ عند الحاجة القصوى. وإلاّ فإنه متى اتضحت الفكرة وكان المرء عالماً بها وملك جانباً من زمام التعبير في اللغة العربية جاء الاصطلاح يسيراً. ولعلّ بعض الأمثلة يوضح مانريد.

أمثلة على معالجة المصطلحات:

قد يَتَرَدَّدُ الّذين يكتبون في علم السكان تلقاء المصطلح الفرنسيّ:

dureé moyenne de la vie, espérance de vie,

أو ما يقابله في اللغة الإنكليزيّة:

mean length of life, expectation of life

فيقولون: أمل الحياة أو يقولون: توقع الحياة. فلا يكاد المرء يفهم من ذلك شيئاً. وهنا نحبّ أن نشير إلى أن اللغات الأجنبية في غالبيّتها لغات جامدة توضع المصطلحات فيها دون أن تشفّ تمام الشفوف عن حقائق المعاني أو كنه المراد.

إن ذلك المصطلح الأجنبيّ يعني مايتحصّل إحصائياً إذا أخذنا جيلاً من الناس أي أناساً أتراباً أو لِداتٍ ولدوا في سنة واحدة وطبّقنا عليهم نسب الوفيات الجارية في مجتمعهم سَنةً تِلْوَ سنةٍ حتى فنائهم جميعاً وقسمنا على عددهم مجموع آجالهم فذلك هو ببساطة الوسط الحسابي لآجالهم أي هو «الأجل المتوسط». وإذا اعتبرنا مدة الحياة التي يعيشها كل منهم قلنا «العمر المتوقَّع». فالعمر المتوقّع بالنسبة إلى الجيل والأجل المتوسط هما بمعنى واحد. ولا شك أن التعبير العربي هذا أشفّ عن المراد من الألفاظ الأجنبيّة المتعددة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الطويلة الجامدة التي ليس لها رونق اللفظ العربي ولا طلاوته ولا دقّته ولا شفوفه. وعندما نقرأ في الصحف أوالمجلاّت العربيّة موضوعاً يمس هذه الأمور نعجب من كاتبيها أو مترجميها حين يقولون ما معناه أن حياة الإنسان قد طالت في العصر الحاضر. وإنّما الذي طال هو الأجل المتوسّط للمواليد بسبب نقص وفياتهم خلال العام الأول من حياتهم خاصّة. ولا شكّ في أن اختيارنا لهذا التعبير العربي متّصل بمصطلحات ديمغرافية أخرى يلزم تفريق بعضها عن بعض. وهي «العمر المتوسّط»، وهو الوسط الحسابي لجماعة من الناس أحياءٍ من أجيال شتّى. و «العمز الوسيط»، وهو العمر الذي يقسم جماعة من الناس أو مجموع الناس في المجتمع شطرين متساويين عدداً. و «العمر المعتاد أو النظامي»، وهو العمر الذي يبلغ عدد الوفيات في جيلٍ مُتَتَبَّعٍ نهايتَه العظمى أو أَوْجَه، أو هو « المنوال » لعدد الوفيات في الجيل بالتعبير الإحصائيّ. وهو ما أشار إليه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في بعض حديثه لما بلغ الخامسة والستين حين قال ما معناه أنه أمسى في معترك المنايا دون أن يكون لديه علم بهذا المصطلح الإحصائي. وإنّما هو الحدس الإنسانيّ البليغ بالنسبة إلى ذلك المجتمع الغابر. و «الأجل الوسيط» أو «العمر المحتمل» هو العمر الذي يصبح عدد الجيل فيه نصف ما كان. هنا نستقرئ عدد الجيل سنة فسنة، بل بعض أجزاء السنة حين يتتابع أفراده إلى الموت. (التتابع بالياء هو التتابع إلى أمر مكروه.) أما العمر الوسيط المذكور آنفاً فهو يتعلق بجماعة من الأحياء فقط أيّاً كانوا فيقسمها قسمين متساويين.

وقد احتجنا في بعض المواضع إلى اعتماد ألفاظ قل استعمالها وإن كانت سليمة صحيحة. ففي فنّ التوليد تصنَّف الأمهات الحوامل اللواتي قرب مخاضهن باعتبار مرتبة أمومتهن إلى أبكار أو خُرُسٍ حَمَلْنَ ثم وضعن لأول مرة وإلى ضوانئ multipares, multiparous سبق أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وضعن أكثر من مرّة. أما اللائي لم يَلِدْنَ قطّ فيجوز دعوتهنّ العُوط أو العائطات جمع عائط.

وقد شرحنا أمثال هذه الألفاظ في الحواشي. هذا وإن لفظ العائط، وقد يجمع على عِيط أيضاً، أوسع من لفظ العقيم لأن العائط ربما لا تكون عقيماً.

والألفاظ الأجنبيّة في فنّ التوليد مصطلحات علمية حديثة لا يفهمها إلاّ الأطبّاء وأصحاب الاختصاص وعلماء الأحياء. فالخَرُوسُ تقابل في الفرنسيةprimipare وفي الإنكليزيةprimiparous ولها مرادف باللغة العربية وهو البكر. ولكن هذا اللفظ في لغتنا له عدة معانٍ نقتصر منها ههنا على معنيين: الأول البكر العذراء وجمعها أبكار والمصدر البكارة. والثاني البكر المرأة والناقة إذا ولدتا بطناً واحداً. وهو ماأردناه في ذلك السياق. وتستشهد كتب اللغة على هذا المعنى بقول أبي ذؤيب الهذلي:

وإن حديثاً منك لوتبذلينه جنى النحل في ألبان عوذٍ مطافل
مطافيلَ أبكارٍ حديث نتاجها تشاب بماء مثل ماء المفاصل

كما تورد قول أبي الهيثم شارحاً هذه التسمية حين قال: «والعرب تسمّي التي ولدت بطناً واحداً بكراً بولدها الذي تبتكر به». ولقلة شيوع المعنى الثاني أردفنا لفظ الأبكار بالخُرُس جمع خروس وهي البكر في أول حملها. هذا والشيء بالشيء يذكر. فالخُرْس طعام الولادة. والخُرْسة بهاء ماتُطْعَمُه النُّفَساءُ نفسُها على حدّ إيضاح ابن جنّي.

ومهما يكن من أمر فقد سبقت العربية إلى وضع تلك المصطلحات الحديثة.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كذلك لم نجد في بحوث الولادة والإسقاط والوضع والتعمير والمرض والوفاة حرجاً في جانب اللغة العربية. بل كانت تُمِدُّنا بألفاظ وتعابير غَنيّة وسهلة إلى درجة أنّ رصيفي رحمه الله قال بعد تردّدٍ: إنّ الألفاظ العربية التي ضربنا صفحاً عنها ربّما يحتاج العلم إليها في المستقبل عند تقدُّمه أشواطاً بعيدة.

يمكن إيراد أمثلة أخرى في أرجحيّة التعابير العربيّة الحديثة على أمثالها في اللغات الأجنبية أو مكافأتها لها. ولكنّ هذا الموضوع يقتضي تفصيلاً ربّما لا يستسيغه الذين ليس لهم اختصاص في هذا الميدان مادام البحث قضية تعريب المصطلحات العلميّة.

وليس معنى ذلك أننا نجد في العربية ما يقابل جمع المصطلحات الأجنبية الحديثة. هيهات هيهات ! ولكن في مجال التنقيب والاشتقاق بأنواعه والنحت والتركيب والإبدال واعتماد مقاييس اللغة الكثيرة و «تطويع» الألفاظ الأعجمية وغيره سَعَةٌ أيُّ سَعَة.

عود إلى المعجم الديمغرافي المتعدّد اللغات العربيّ:

لِنَعُدْ إلى شأن هذا المعجم ولْنبيّن مشكلاتٍ تتعلق بمسألة شيوعه وانتشاره واعتماده وهو أنه بعد انفصال الإقليمين الشقيقين مصر وسورية واعتماد مخطوطة المعجم العربي أرسل إليّ مدير لجنة المعجم الدولية نسخةً مطبوعة يسألني رأيي فيها قبل اعتماد تلك اللجنة لها، إذ كنت صاحب الاقتراح الأوّل. فتجشّمت عناء المراجعة الدقيقة لهذا المجلد العربي وأثْبَتُّ جدولاً بالأخطاء المطبعيّة والألفاظ التي سقطت في أثناء الطبع، ثمّ أجزت الكتاب بشرط أن ينشر الجدول بذيله. بَيْدَ أن المجلّد العربي نشرته وزارة الثقافة دون إثبات التصحيح، مع أن المعجم، كلّ معجم، ينبغي أن يكون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خِلْواً من التحريف والتصحيف والسقطات وأمثالها. وقد طبع منه خمسمئة نسخة فقط كما ترامى إليّ ولم يَرُج الرّواج اللازم له في الجامعات والمعاهد مع حاجتها إليه. كذلك لم تصلني إلاّ النسخة التي بعث بها مدير لجنة المعجم الدولية إليّ مع أني صاحب المشروع. وقد تابعته من أوله إلى آخره.

ومع عيوب المجلّد العربي فقد استفادت منه الجمعية الإحصائية للبلاد العربية، وأصدرت «قاموس المصطلحات الإحصائية والديموجرافيّة» (إنجليزي عربي) لا يحمل تاريخاً بترجمة عبد المنعم الشافعيّ وحسن محمد حسين وأحمد عبادة سرحان وخطاب محمد حسنين. أشاروا في مقدمة هذا القاموس إلى أنّهم اعتمدوا في جملة مااعتمدوه «المعجم الديموجرافي المتعدد اللغات» الذي شاركَتُ في وضعه. وكذلك أصدر «المركز الديموجرافي لشمال أفريقية بالقاهرة» سنة ١٩٦٧ «القاموس الثلاثي للمصطلحات الإحصائية والديموجرافية» (عربي إنجليزي فرنسي عربي) أشار زميلي الدكتور عبد المنعم الشافعي مدير المركز إذ ذاك في تصديره له إلى معجمنا الديموجرافي العربي السابق.

إن التوفيق في وضع أمثال هذه المعجمات ليس أمراً يتعلّق بالبلاد العربيّة وحدها بل هو شأن ثقافيّ وإنسانيّ له علاقة بأقطار متعددة تجمعها والبلاد العربيّة جذور ثقافية أصيلة قويّة. فلقد كتب إليّ «الاتحاد العالمي لدراسة السكان العلميّة» يسأل عن أخبار المجلّد العربي بعد ذيوع إنجازه لأن بعض البلدان تطلبه لوضع معجمات بلغتها مما له صلة بالثقافة العربية كإيران وباكستان وأندونسيا وتركيّا.

ذلكم أن قضايا السكان ومايجري مجراها من مواليد ووفيات وزواج وطلاق ذات وشائج عميقة باعتبارات حضارية شاعت وعمّت أقطاراً متعددة. ولما كانت اللغة العربية مَعِيناً ثرّاً في الماضي مُعِيناً لمختلف اللغات فقد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تجد هذه اللغات عوناً ما أَوْرِفْداً حين تصادف ضالّتها مُيَسَّرةً مُذَلَّلةً بسيطةً في اللغة العربيّة. وهكذا يكون عكوف الباحثين في البلاد العربيّة على اللحاق بالتراث العالميّ في مصطلحاته دعماً أكيداً لزملائهم في كثير من الأقطار الناهضة.

على أنّ العلم في تقدمّه لا يقف عند معجم أو كتاب، بل هو حثيث السير قُدُماً تنبت على صعيده المصطلحات الحديثة كلَّ يوم. ولهذا أصبح المعجم الديمغرافي ذاك عليه مَسْحَةٌ من القدم بالنسبة إلى علم السكان الحاليّ وبالنسبة إلى مصطلحاتٍ جَمَّةٍ مستجَدَّة. فعمد «الاتحاد العالمي لدراسة السكان العلمية» منذ حين إلى تأليف لجنة جديدة تضع معجماً جديداً على غرار المعجم القديم، ولكنّه أوفى منه بالحاجات العلميّة الناشئة.

المعجم الديمغرافي الجديد:

إن وضع معجم جديد ليس بأقل صعوبة من وضع المعجم الأوّل. وذلك لصعوبة تجميع المصطلحات الجديدة ولمّ شعثها واصطفاء أصحّها وأمثلها في لغات عالمية كالإنكليزية والفرنسية وغيرهما ومقارنة بعضها ببعض. ومما هو جدير بالتنويه أنّ معجمنا العربيّ الأوّل الذي تكلّمنا عليه آنفاً سبق في ظهوره بعض المعجمات الأجنبية كالمعجم البولوني (١٩٦٦ نفس السنة) والسويدي (١٩٦٩) والبرتغالي (١٩٦٩) والصربي الكرواتي (١٩٧١). ولولا انفصام وحدة مصر وسورية لكان معجمنا أشدَّ تبكيراً وأعجل أسبقيّة. ظهر المعجم الألماني (عام ١٩٦٠) والفنلندي (١٩٦٤) والرّوسي (١٩٦٥) ونحن لا نشكّ في قدرة اللغة العربيّة على استيعابها واستجابتها لتقدّم العلوم.

أمّا إن كانت هنالك مشكلات ومشقّات فإن في جميع اللغات مشقاتٍ ومشكلاتٍ في ابتداع المصطلحات الحديثة والتقاطها واختيار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المناسب منها. ومن يطالع تاريخ اللغات الأجنبية وتكوّنها ومشكلات مصطلحاتها الحديثة يغمره العجب من مرونة لغتنا العربيّة وسعتها كما يبهره الإعجاب بها.

ومادُمْنا في صدد التعريب عامّةً وعلم السكان خاصةً فلعل مثالاً بسيطاً نورده يدلّ على مرونة هذه اللغة. نأخذ كلمة في علم السكان فرنسية شائعة وهي statistique de l' état civil ومقابلها بالإنكليزية vital statistics وعلى الرغم من أن لفظ vital من أصل لاتينيّ لم يعتمده الفرنسيون في هذا السياق. ونحن في اللغة العربية نقول: «إحصاء الأحوال المدنية» مقابل المصطلح الفرنسي، و «الإحصاء الحيويّ» مقابل المصطلح الإنكليزيّ، وإن كنّا نرغب في الاقتصار على اصطلاح واحد.

وقد أصبح التعبير العربي المقابل للفظ الإنكليزي أشيع وأعمّ بتأثير اللغة الإنكليزيّة في بعض الأقطار العربية ولذيوعها العالمي.

اللغات الأجنبيّة ضيّقة ضَحْلة. مثال ضَحْلها وضيقها أيضاً أنّ اللغة الإنكليزيّة حين تريد أن تفرق بين معدّل الوفيات death rate أو الموَتان - على حدّ تعبير ابن خلدون وأشباهه القدماء وبين نسبة الوفيات أي احتمالها mortality rate تعمد إلى اللغة اللاتينية، وهي لم تتحدّر منها فتستعير اللفظ mortality. أمّا اللغة الفرنسيّة فإنّها تعمد إلى تغيير لفظ المعدّل في taux de mortalité فتستعملُ لفظَ خارجِ القسمة للدلالة على التعبير الثاني فتقول quotient de mortalité . ولسنا ههنا بصدد بيان الألفاظ العربية الكثيرة الدالة على الهلاك بأشكاله المتنوّعة وسياقاته المتفاوتة، حفظ الله على السادة القرّاء حياتهم وحيّاهم وأمَدَّ في أعمارهم وأمتعهم بخيرات الدنيا والآخرة. فهم بخبراتهم يعرفون تلك المفردات أو يسعهم الرجوع إليها في بطون كتب اللغة الشهيرة.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد تتدابر اللغتان العالميّتان الحديثَتان فلا يكون المصطلح الفرنسيّ مقابلاً للمصطلح الإنكليزيّ مع اشتراكهما في جذر اللفظ الواحد. هنالك العُرْف والتواطؤ والاستعمال، وهي أمور تحدّد الدلالة. فلفظ خصب مثلاً بالإنكليزية fertility يقابله بالفرنسية fécondité، ويراد بهما في علم السكان حصول التوالد أو مَدَى التناسل. ولفظ fecondity بالإنكليزية يقابله بالفرنسية fertilité أي استطاعة الإيلاد أو القدرة على الإنسال أو النَّجْل. وضدّهما بالإنكليزية sterility, infecundity وبالفرنسية stérilité أي العقم والعقر. وقد نبّهنا على هذا الاختلاف بعض القائمين على المعجم الطبيّ الموحدّ السابق الذي قابل بين اللفظين وسوّى بينهما خطأً بالنظر إلى جذريهما.

كذلك ربما لا يكون للمصطلح في لغة أجنبية ما يكافئه بالضبط في لغة أجنبية أخرى كالإنكليزية فيستعان عليه بألفاظ أخرى لا تقابل لفظه بل قد لايوجد له مقابل مستعمل في هذه اللغة.

ومع هذه الصعوبات فقد استطاعت اللغة العربية أن تستوعب تلك المشكلات وأن تجد في غناها الألفاظ المقابلة أو أن تضع ألفاظاً جديدة ملائمة.

لقد أعرب مجلس الاتحاد الدولي المنعقد بمدينة لييج (بلجيكا) في نيسان ١٩٦٩ عن ارتياحه إذ حقق المعجم ماتنتظره منه هيئات الديمغرافيين العالمية وقرّر أن الحاجة غدت ماسّة إلى إعادة النظر فيه وتجديده بسبب تطوّر البحوث في إبّان السنوات التي مرّت على ظهوره. فأُلِّفتْ لجنة جديدة استطاعت بالتمويل المادّي الذي قدّمه مكتب التعداد في الولايات المتّحدة أن تباشر أعمالها عام ١٩٧٢ وتختمها في عام ١٩٧٤ وأُوكل إلى السّيد لويس هنري الفرنسي كتابة النصّ النهائي؛ وقد ظهر المعجم الجديد الفرنسي عام ١٩٨١. وتلاه النصّ الإنكليزي عام ١٩٨٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وشعرت اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربيّ آسيا بالحاجة إلى تجديد النصّ العربيّ الأوّل توحيداً للمصطلحات الديمغرافية العربية ومواكبةً للتطور الحاصل في هذا المضمار ودعماً لأعمال التأليف والترجمة والبحث. وقد وافق صندوق الأمم المتّحدة للنشاطات السكّانية على تمويل هذا المشروع.

وعقدت عدّة اجتماعات للمختصين، وأُلِّفَتْ لجنة لهذا الغرض تضمّ عبد الكريم اليافي (سورية) رئيساً ومقرّراً ومتّى عقراوي (العراق) وعبد الواحد المخزومي (العراق) وعبد المجيد فرّاج (مصر) ومحمود سكلاني (تونس)، ثم دعي رئيس اللجنة لكتابة النصّ العربيّ النهائيّ بشكله الحاضر. فظهر منضمّاً إلى أمثاله وأشباهه حاملاً هذه المرّة شعار الأمم المتحدة (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا) وشعار الاتحاد الدولي لدراسة السكان العلمية، عام ١٩٨٤.

لقد كُتِبَ في مستهلّ النصّ العربيّ مايلي:

«يمكن للباحثين ولمؤسّسات التدريب المَعْنِيَّة بالأمور السكانيّة الحصول على نسخ من هذا المعجم مجّاناً من «اللجنة الاقتصاديّة والاجتماعيّة لغربيّ آسيا. ص ب : ٢٧ بغداد ـ العراق».

ورأت اللجنة الاقتصاديّة الإفادة من النصّ العربيّ في وضع قاموسٍ ديمغرافيّ باللغات الثلاث فكلّفت رئيس لجنة المعجم العربي تجميع المصطلحات باللغات الثلاث العربيّة والإنكليزية والفرنسية وعمدت إلى ترتيب ما تَجَمَّعَ بالحاسوب مع احتفاظ كل مصطلح برقميه: رقمه الخاصّ ورقم الفقرة التي هو فيها، وأصدرت سنة ١٩٨٨ ـ «القاموس الديمغرافي الثلاثي»، وهو يتألف من ثلاثة أجزاء في سِفْرٍ واحد:

(١) عربيّ إنكليزي فرنسيّ.

(٢) إنكليزيّ فرنسيّ عربي.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٣) فرنسيّ إنكليزيّ عربيّ.

ويُعَدُّ هذا القاموس تكملةً للمعجم الديمغرافيّ العربيّ الصرف. وفي هذا تيسيرٌ أيُّ تيسير للباحثين في توازي المصطلحات العربية والأجنبية وتقابلها.

ولكن حرب العراق وإيران وحربي الخليج حالت دون ذيوع القاموس والمعجم العربيين، ودون تمام الإفادة من ذلك العمل الديمغرافيّ التعريبيّ العالميّ. (كانت بغداد مقرّ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربيّ آسيا. وبسبب آفة الحرب غادرت اللجنة مقرّها ومتاعها).

ربما يَرِدُ إلى الذهن أننا هنا في ميدان علم السكان على صعيد خاص وهو شؤون الحياة والصحّة والمرض والموت. وقد بلا العرب قديماً فيهامختلف الصروف ورصدوا شتّى اللحظات والملاوات والتقلّبات. ولكن كيف بنا إذا عالجنا موضوعاً يتعلّق بالمستحدثات الجديدة والأساليب المستطرفة، كما في الفيزياء الحديثة مثلاً؟!

نقول إننا لاندّعي أنا نملك أدوات البيان العربي كلَّها ولاجُلَّها، ولا أنّا مطّلعون تمام الاطلاع على خزائن اللّغة وكنوز علومها. ومع ذلك فإنّا نحترم هذه اللغة العظيمة ونقدرها حق قدرها، ونحاول أن نعرب فيها إعراباً دقيقاً عمّا نملكه من معرفة واطلاع. وقد أتيح لنا في الماضي أن نعلّم في كليّة العلوم بجامعة دمشق الفيزياء الحديثة وأن نعالج في تعليمنا أدقّ البحوث. فلم نجد في اللغة حرجاً ولا في جانبها ازوراراً ولا في وضع المصطلحات المناسبة فيها عقبات. وألَّفْنا فيها كتابينا «الفيزياء الحديثة والفلسفة» ثم «تَقَدُّم العلم». هذا بجانب تأليفنا في علم السكان بعض الكتب التي كانت ركناً قويّاً ووطيداً في نشوء علم السكان في الجامعة وتدريسه وتخريج أساتذة وخبراء فيه دون حاجتهم إلى الدراسة في خارج البلاد. والفضل في ذلك لِغِنى العربية وطواعيتها قبل كل شيء. المشكلة في رأينا مشكلة إلمامٍ كافٍ باللغة العربيّة.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وليست لغتنا صعبة كما يتوهّم أويدعي فريق من الناس. لبعض اللغات غِنىً يشبه شيئاً من الشبه غنى العربيّةِ كالروسيّة وتزيد هذه على العربية في تصعّب أشكال الإعراب المتعددة، هذا فضلاً عن الصينية واليابانية. إن حُسْنَ الإلمام بالعربية وضبط مبادئها ومعرفة أساليب البيان فيها أمرٌ ذو شأن في الوقت الحاضر، ندعو إلى معالجته معالجة سليمة والتفكير فيه تفكيراً مُجْدِياً. ولن يعدم الباحثون فوائد تعود بالخير والنجاح. فاللغة نسغ الحياة الفكرية ومطيّة الثقافة الإنسانية وأحد سبل تحقيق القيم الرفيعة. بل هي أغلى الروابط القوميّة وأعلى الأواصر الحضاريّة

الخلاصة أن قضايا المصطلحات ومشكلات وضعها وتوحيدها ونشرها واردة في البلاد المتقدّمة ورودها في البلاد الناشئة. ولابد لنا من بذل الطاقات واعتماد التمويل الكافي في تذليلها ونُجْحِها وفلاحها، كما رأينا في عرض تاريخ المصطلحات السكّانية الحديث. ثُمَّ إن التَّقَوِّيَ بمعرفة اللغة والتمكّن من علومها ولاسيّما في ريّق الصِّبا وريعان الشباب لدى الجيل الناشئ من شأنه في المستقبل أن يسهّل مصاعب التعريب ويمهّد عقباته وييّسر سبل البيان الصحيح. كذلك تعاون الباحثين والهيئات الوطنيّة في البلد الواحد وتقاربُ الأقطار العربيّة لأياً بعد لأي وخطوةً تلْو خطوة وذراعاً غِبَّ ذراع وتضامُنَها قليلاً أو كثيراً ، إن لم نَقُلْ اتحادَها، وتيسيرُ تبادل الكتب والمجلات والمعارف بينها وتكريرُ الندوات العلميّة والأدبية في أحضانها كلُّ ذلك كفيلٌ بأن تتجاوز اللغةُ العربية والتعريب مايُبَيَّتُ دونهما من ضغنٍ وكَيْدٍ، ومايحاك من تَخَرُّصٍ وتربُّص، ومايُبَثُّ من تَنَكُّرٍ وفساد. ومع ذلك فنحن حين ندرك مساعي الهيئات الجادّة ونتعّرف جهود الأفراد والمسؤولين المشكورة تمتلئ صدورنا بأشعّة التفاؤل فَنَرْنُو إلى الغد بابتسامةٍ حلوةٍ مستبشرة وإيمان واثقٍ وعميق.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net